

الفصل الأول

الاتجاه السائد في تعليم التاريخ

يهدف التاريخ ضمن ما يهدف إليه إلى فهم الحاضر ، فالأحداث الراهنة هي نتيجة لأحداث وظروف ولت وانتهت ، وما لم نفهم الموقف أو الأساس الذي قام عليه الموقف الحاضر ، فإن الوضع المعاصر يصبح سراً مغلقاً ، فلكى نفهم الشيء فهماً ذكياً يجب أن نتتبع أسبابه وخلفياته . والتاريخ يساعد على فهم معنى الزمن ، فدراسته تؤدي إلى توعية الفرد بأن كل لحظة تمر تكون في مركز الحاضر ثم تمضي إلى ماض لا يمكن تغييره . فحقائق التاريخ متعلقة بالماضي الذي انقضى ، فلا يمكن استرجاعه أو العودة إليه أو تصويره ، ولا التعبير عنه إلا بالألفاظ ، فنحن يمكننا التقاط صورة لمدينة ، ولا يمكننا تصوير حادثة تاريخية ، فحقائق التاريخ ليست من نوع مادي يسهل رؤية ما يشبهه أو يمكن تصويره ، فكثير منها يختلط فيها العمل المادي بالدافع المجرد الذي لا يدرك بالحواس ولكنه يلح من ثنايا الأحداث والوقائع .

والتاريخ بحكم طبيعته يصف أعمال الراشدين وتفكيرهم وعواطفهم ، وهى أشياء لا يفهمها الصغير ، فلا بد من أن يمارسها ويشعر بها ويوجه انتباهه إليها حتى يفهمها . فالدوافع التى وراء الحوادث التاريخية فوق إدراك الطفل لأنها دوافع أفراد راشدين هم القادة والساسة والحكام والشعوب .

ونظراً لهذين البعدين المكافئ والزمانى ، فإن أصحاب التاريخ يضعونه فى أسلوب من الألفاظ ، فأصبح كلاماً تقوم فيه الألفاظ مقام الأشياء ، وتنوب فيه الرموز عن الحقائق ، ولكى نفهم التاريخ الذى صيغ فى كلمات وألفاظ ورموز ، يجب أن نكون قد اكتسبنا فى ماضى حياتنا الخبرات التى تصورها هذه الكلمات والرموز .

فالصعوبة فى الفهم تأتى نتيجة حاجة المتعلم إلى الخبرات لا إلى الذكاء ، وبما أنه يرى أن عليه أن يتعلم التاريخ ، فهو يذهب إلى حفظ واستظهار هذه التعبيرات دون فهمه للمعنى ، فيستغنى باللفظ عن المعنى ، وبالرموز عن الحقيقة ، فينشأ وهو لا يهتم بالفهم والمطابقة بين اللفظ وبين ما ينطوى عليه من معنى أو خبرة .

فالوقائع والأسماء أو معظمها لا يتصل بشئ من خبرات التلاميذ أو بالنواحي التى تشبع حب الاستطلاع فيهم ، ولذلك لا تثير فيهم أى ميل لدراستها ، فإذا يكون شعور التلميذ بالنسبة

للمعلومات التي يحصلها وهو مرغ من غير أن تحرك في نفسه ميلاً ؟ إنه ولا شك سينفر منها ، ونكون بذلك قد ازحنا عنه غرضاً كبيراً من أغراض التعلم ، وهو بث الميل إلى العلم وحب البحث والإطلاع في نفسه . فالمعلومات التي يتعلمها التلميذ تمثل خلاصة حياة الجنس البشرى في صورة لفظية ، وهي مهمة ولا يكون تعلمها مجدياً ما لم تكن على صلة وثيقة بحياة التلميذ ، وما لم تكن وسيلة لغاية كبرى . هي اكسابه القدرة على التصدى لما قد يعترضه من مشكلات في الحياة ، وأن يكون له دور ايجابي في اكتسابها .

وعلى ذلك فإن التعليم الجيد يقوم على وجود مشكلة تهم التلميذ وتتصل بحياته واحتياجاته ، فتحفزه إلى القيام بنشاط بغية الوصول إلى حل لهذه المشكلة . فليس من شك أن من خير الطرق وأنجحها أن يقوم التدريس على النشاط الإيجابي من جانب التلميذ ، والتوجيه والإرشاد من جانب المعلم .

وفي هذا الإطار فإن التلميذ ينظر في أعماق الماضي مما قد يجعله أقدر على تكرار انجازات الأسلاف ، وهنا يمكن أن تكون دراسة الماضي مفيدة لإرشاد النشاط الحاضر ، فالحكيم هو الذي يتذكر أخطائه فلا يكررها ، والذي يتذكر نجاحه فيعمل على تكراره .

فدراسة التاريخ ينبغي ألا تكون دراسة للماضي فقط ، بل عليها أن تربط الحاضر بالماضي ، والمستقبل ما هو إلا مجرد امتداد للحاضر والماضي ، والوجود الشخصي الراهن هو ثمرة لخبرات الماضي وتجاربه. وأفعاله وأخطائه وشتى أحداثه . فأهمية التاريخ تأتي عندما تسلط الأضواء على الماضي لكي يضع بين أيدينا الكثير من الدروس التي قد تعيننا على مواجهة كل من الحاضر والمستقبل .

فالغرض من التاريخ هو تذكر الماضي الذي هو السبيل لتكوين الثقة بالنفس وبالامكانات ، والشعور بأن فهم الماضي ضروري لإدراك الحاضر ، وأن تكوين الوعي التاريخي ضروري إذا أردنا فهم مشاكلنا الحاضرة والتخطيط لمستقبل أفضل .

الا أن تعليم التاريخ في مدارسنا لا يحقق فائدته العلمية أو العملية ، فالاتجاه سائد نحو تحصيل المعلومات كغاية ، والمعلومات تكون بعيدة عن تذوق التلاميذ وميولهم ، كما أن معظمها ينسى بعد الامتحان . وأصبح كمادة مدرسية مادة جافة غير ذات معنى ، أو قيمة حقيقية للتلاميذ ، وتلقى استجابة قليلة بالرغم من طبيعتها القصصية المحبة إلى نفوسهم . كما أن المناهج وطرق التدريس الحالية لا تؤدي إلى تعلم معظم ما ترجوه الأهداف ، ويدرس التاريخ بمدارسنا الآن عن طريق السرد الجاف للحوادث ، والشئ البارز فيه هو ذكر السنين وأسماء الملوك والوقائع الحربية .

وتعليم التاريخ يعتمد الآن على : المعلم والكتاب . المعلم يلقي التلاميذ ما جاء في الكتاب المدرسي الذي هو الوسيلة الوحيدة للتعليم والتثقيف . وهذا هو عكس ما تؤكد عليه التربية اليوم ، من حيث ايجابية المتعلم وضرورة اشتراكه في الحصول على المعلومات بنفسه وبجهوده الذاتية . كما أن الكتاب وجه وجهة جديدة ، فلم يصبح أداة التلقين وتخزين المعلومات في عقول التلاميذ ، بل وسيلة فعالة تستثير ميولهم وتحفزهم على النشاط والتفكير وتوجههم نحو الإتصال بالبيئة واكتساب خبرات مباشرة منها .

وقد جرى المعلمون على التقييد بالكتاب المدرسي وتنظيمه وترتيب أفكاره وأسلوبه ، لأنه يمثل المادة الدراسية واتجاهاتها وطرق معالجتها ، كما وجدوا تشجيعاً من قبل القائمين على الاشراف الفني في هذا السبيل ، كما أن هناك من يرى أنه يمثل ما تطلبه الوزارة منهم ، فيلخصون مادته ويضغطونها لتصبح سهلة تساعد التلميذ على استظهارها في الامتحان .

ومن المعلمين من يرى أن الكتاب مفروض من الوزارة ، فيطلب من التلميذ الاستذكار لكل ما جاء فيه ويكون الاختبار على هذا الأساس فيشجع على استظهار مادته . ومنهم « معلم كتاب » يكلف التلاميذ بإعداد الدرس مسبقاً في المنزل ثم يناقشهم فيه عن طريق الأسئلة في الفصل . ومنهم من يهمل الكتاب

ويستخدم كتاباً ملخصاً غير مقرر ليستظهر التلاميذ ما به من مادة .

وكل هذه الطرق تعرقل بلوغ أهداف التاريخ وتدريبه التي تتطلب القراءة الكافية المتنوعة المناسبة وجمع معلومات ، مما يمكن الاتصال به من واقع الطبيعة ومن الهياث والآثار التاريخية والمتاحف ومن المتخصصين في المهن المختلفة .

وثمة اتجاهان واضحا في التعليم ، لكل منهما أسسه السيكولوجية والفلسفية والاجتماعية ، وهما الاتجاه التقليدي ، والاتجاه الحديث .

ففي الاتجاه التقليدي ، يعتمد المعلم الى تلقين التلاميذ المعلومات والمعارف ، ويقف فيه المتعلم موقفاً سلبياً ، فالمدرسة التقليدية اهتمت بالحفظ والتلقين دون أن تبذل مجهوداً ما لكي يفيد التلميذ مما حفظ في مواقف الحياة العملية ، فاهتمت بالناحية العقلية وبالتحصيل وأهملت جوانب الشخصية الأخرى من جسم وانفعالات ، ونظمت المادة الدراسية تنظيماً منطقياً بحشو أذهان التلاميذ بالمعلومات بصرف النظر عن حاجاتهم وميولهم .

أما الاتجاه الحديث ، فقد تغير فيه مفهوم عملية التعلم من الناحية السيكولوجية وما ارتبط بها من دراسات وبحوث في سيكولوجية التعلم ، فبدأت المدرسة تغير وظيفتها تبعاً لذلك ، فعندما حدثت تغيرات في المجتمع الحديث ، وتغيرت كذلك طرق

التعلم واتجهت نحو إستغلال نشاط التلميذ داخل الجماعة هادفة إلى تعديل سلوكه بحيث يوفق بين مطالبه ومطالب المجتمع ، وبحيث يتكيف تكيفاً سليماً مع ما يحيط به من ظروف بيئية ؛ عند ذلك أصبح التدريس عملية توجيه لا تلقين .

فإذا أمكن للمعلم أن يجعل طلابه يبحثون ويدرسون بأنفسهم ، فسيواصل الطلاب عملهم بشغف واهتمام وإفادة ، أما إذا اعتمد على التلقين والاملاء فإنه يصرف أذهانهم إلى أمور أخرى ، ويكون انتباههم له شكلياً ، وإن كانوا في حقيقة الأمر ينظرون إليه بأعينهم ولكنهم منصرفون عنه بأذهانهم . وأما المعلم الذي يقلل من حديثه وشرحه ويستثير تلاميذه للمناقشة والتفكير والاستنتاج ، فإنهم ينتبهون إليه بشغف واهتمام . فالمدرسة التي تعتمد على إستثارة نشاط التلاميذ بأساليب عملية وبالاعتماد على الذات ، تنجح في تخفيف ظاهرة شroud الذهن . فحين يشعر التلميذ بحاجته إلى المعرفة وأنها تسد نقصاً لديه ، وترضى ميلاً من ميوله ، حينئذ يتفنى في تحصيلها ويعفى المعلم من هذا التفنى ، فالمادة متى كانت مناسبة أصبحت طريقة تحصيلها من عمل التلميذ ومن إختصاصه لا من عمل المعلم .

ولقد تأكد منذ عام ١٩٤٤ في مؤتمر تدريس العلوم الاجتماعية المنعقد في القاهرة من ممثلين للدول العربية ، على الحقائق التالية :

١ - أنه كان لانعدام المرونة في المناهج ولتقييد المدرسين

بكتاب واحد مقرر ، وللأسلوب القائم للامتحانات ، دخل كبير
فيا نلسه من قصور تدريس المواد الاجتماعية عن تحقيق الغاية
منه .

٢ - وأكد المؤتمر خطر الطريقة التلقينية في تدريسها ، فيرى
أن تتبع الطريقة العلمية التي تستغل فاعلية التلاميذ إلى أقصى حد
يمكن في بحث موضوعات هذه المواد وتدريسها ^(١) .
فهذا التقييد بالكتاب المدرسي له أضراره ومنها :

١ - كثيرا ما تحتوي الكتب على ألفاظ وعبارات لا تناسب
المستوى اللغوي للتلاميذ مما يجعلهم يتعثرون في فهم واستيعاب
الموضوعات التي تتضمنها .

٢ - كثيرا ما يعتمد المؤلفون إلى توضيح الأفكار عن طريق
التكرار في العبارات وبأساليب مختلفة ، الأمر الذي يجعل التلاميذ
يقعون في الحيرة والارتباك وعدم الوصول إلى المعاني المقصودة .

٣ - كثرة المعلومات والحقائق حرصا على حشو أذهان التلاميذ
بالقدر الذي يشعر الجميع بأن الكتاب المدرسي لا يزال يعد المصدر
الوحيد الذي ينبغي أن يعتمد عليه التلاميذ في استيفاء المعلومات
والحقائق بالرغم من امكانية الافادة من مصادر التعلم الأخرى .

(١) ساهرة القاصي : مبادئ في أصول التدريس العامة (بغداد - مطبعة المعارف
الطبعة الثانية - ١٩٦٠) ص : ٣٣ .

٤ - افتقار عديد من الكتب إلى اختبارات التقويم الذاتي التي يحتاج إليها التلاميذ للتعرف على مدى تقدمهم في الدراسة ونواحي الضعف والقوة ^(١).

٥ - افتقار عديد من الكتب إلى الاسئلة والتارين التطبيقية في نهاية كل فصل أو موضوع ، مما يتيح الفرص للتلاميذ للتدريب على التفكير والبحث والاطلاع في كتب ومراجع إلى جانب الكتاب المدرسي .

٦ - عدم مراعاة استمرار الخبرة سواء على المستوى الرأسي أو الأفقي ، أى عدم استناد مادة الكتاب على ما سبق للتلاميذ دراسته وعدم وضوح العلاقة بين محتواه وما سوف يدرس في المستقبل . كما أن مادة الكتاب لا ترتبط ارتباطا واضحا أو مقصودا بالمواد الدراسية الأخرى .

٧ - عدم مراعاة الدقة والحداثة والجاذبية والوضوح في كثير من الصور والاحصاءات والخرائط ، فضلا عن عدم مراعاة التناسب بين الوسائل المختلفة المتضمنة والمادة اللفظية ومستوى التلاميذ وطبيعة المادة ^(٢).

(١) عبد الحميد السيد : « مشكلات استخدام الكتاب المدرسي وحدوده » - الكتاب المدرسي - فلسفته - تاريخه - أسسه (القاهرة - مكتبة الانجلو - ١٩٦٢) ص : ٢٨٢ .
(٢) أحمد حسين اللقاني وبرنس أحمد رضوان : تدريس المواد الاجتماعية (القاهرة - عالم الكتب - ١٩٧٤) ص : ٩٠ .

وقد أدى ذلك إلى انخفاض مستوى التعليم وجهل الطلاب بكثير من الحقائق العلمية ، لأن ثقافتهم العامة أشبه بأرخبيل من الجزر المتفرقة ، فالبارع منهم في التاريخ والأدب يجهل الحقائق العلمية البسيطة ، ولا يطالع من الكتب إلا الكتب المقررة . وهم يضيقون بمراجعة المصادر العلمية حيث يقتصرون على مطالعة الدروس المطبوعة التي لا تحيط بجميع جوانب المنهج ، ويحفظون ما فيها عن ظهر قلب استعداد للنجاح في الامتحان . فهذا حالهم ، لا يحبون أن يرتووا من العلم إلا بمقدار . فهناك ضيق في أفقهم العلمي وضعف تفكيرهم المنطقي وجهلهم بطرق البحث . حيث تعودوا الراحة والإخلاد إليها والميل إلى اللين والسهولة ، فإذا بهم ينسون بعد مدة ما تعلموه في المدارس ويعودون إلى حالة من الجهل المقنع ، مع أن المثل الأعلى للتربية تعليم الطفل كيف يتعلم بنفسه .^(١)

إن إغراض طلابنا عن متابعة التعليم بأنفسهم وانصرافهم إلى الحفظ وتلقى المعلومات بطريقة التلقين دون تنمية قوam العقلية واكتفاءهم من العلم بما يضمن لهم النجاح في الامتحان يعدّ آفة قد تؤدي إلى مخاطر ومشكلات تربوية يصعب علاجها . إن ذلك كله يحول دون تنمية مستواهم الثقافي وقدرتهم على الابتكار .^(٢)

(١) روبريد وترانس وآخرون : التربية والتعليم - ترجمة : هشام نشابه وآخرين (بيروت - مكتبة لبنان - ١٩٧١) ص : ١٩ .

(٢) محمد الهادي عفيفي وسعد مرسى : قراءات في التربية المعاصرة (القاهرة - عالم الكتب - ١٩٧٣) ص : ١١٧ .

فالتألم الذى تضعف ثقته بنفسه وىنقاد لمواظفه وىحتقر القىم العقلية والأخلاقية وىتعصب لأرائه ولا يعترف لغيره بالفضل ولا ىتحلى بالتسامح والشجاعة الأدبية ، نحكم عليه بالإخفاق فى عمله وعلمه . إن الشجاعة الأدبية توجب البحث عن الحقيقة والاعتراف بالحقيقة والعمل بالحقيقة ، فإذا فقد الطالب هذه الشجاعة ، مال إلى تصديق كل ما ىقال دون تمحيص أو نقد ، وغلب عليه التعصب وتشتت الفكر والاقتناع بالقليل من العلم . والمجتمع العربى لا ىبلغ غايته إلا إذا توفرت لديه العقول المبدعة القادرة على استثمار موارد الطبيعة وتنظيم الحياة الاجتماعية . ولا ىكفى أن تنشأ الطلاب على إتقان المواد العلمية بل أن نعوهم على الاضطلاع بالمسؤولية والاعتماد على النفس وبذل الجهد والشعور بتجديد أنفسهم وترقية العمل ، وبهذا ىكون الإنسان سيد نفسه وسيد الطبيعة .^(١)

وطالما أن التربية عملية تسعى إلى تعديل السلوك ، فىنبغى أن ىكون من أول ما تسعى إليه إكساب التلميذ القدرة على تعلم ذاته . فلىست مشكلة التربية الفكرية أن ننقل إلى التلميذ معارف جاهزة ثابتة متجمدة وأن نصبها من عقل الراشد إلى عقله ، وإغنا

(١) جميل صليبا : . التعليم فى البلاد العربية . مجلة العربى (الكويت - وزارة الاعلام -

العدد ١٤٧ - ١٩٧١) ص : ٢٠

- Edgar B. Wesley, Stanley P. Wronski, **Teaching Social Studies in high Schools** (Boston, D. C. Heath and Comp., Fourth Ed., 1958) P. 435

المشكلة هي أن تقود التلميذ عن طريق تنمية إمكاناته الخاصة نحو متسقا من نظرة إلى أخرى ومن منظور إلى آخر^(١) إلى أن يلبس فكره شكل فكر الراشد ، بحيث يصبح الفرد قادرا على فهم المعلومات وأن يعالجها ويتناولها معالجة وتناولا صحيحين . وإذا ما تعلم أن يفهم ، استطاع أن يتعلم ليتعلم ، وليستخدم ما تعلم في مواقف أخرى جديدة لم يسبق له تعلمها خلال فترة بقائه على مقاعد الدراسة .

ولقد أشار « بياجي » في هذا السبيل إلى أن التربية الذاتية للزمرة الاجتماعية تسمح للطفل ان يكتشف حقائق خلقية جديدة ، وهي حقائق التضامن والتعاون وشعوره بالمساواة والعدالة .^(٢)

ومعنى ذلك أن قصر اهتمام التعليم على مجرد صب المعلومات في أذهان التلاميذ والتأكد من إلمامهم واستيعابهم لها ، يعدّ أمرا ينطوى على كثير من المخاطر منها :

١ - نحو اتجاه لدى المتعلم مؤداه أن المعلم هو المصدر الوحيد الذى يمكن استقاء العلم منه ، وفى هذا تحديد لنجالات وميادين المعرفة المختلفة .

(١) رونييه أوبر - التربية العامة - ترجمة : عبد الله عبد الدائم (بيروت - دار العلم لللايين - ١٩٦٧) ص ٤٣١

(٢) فاخر عاقل : معالم التربية (بيروت - دار العلم لللايين - ١٩٦٤) ص ٢١٦

٢ - الحجر على إمكانات وطاقات التعلم وإغفال ميوله واهتماماته ومشكلاته التي يمكن استغلالها أحسن استغلال في سبيل بلوغ أهداف تربوية مرغوب فيها .

٣ - التركيز على ناحية واحدة من الجانب العقلي للتعلم وهي الاسترجاع والتذكر ، وفي هذا إهمال لمهارات عقلية هامة وضرورية مثل الفهم والمقارنة والتحليل والنقد والاستنتاج والمقابلة والتطبيق والتقييم .

٤ - حرمان المتعلم من التعلم لتعليم الذات في حياته المستقبلية ، خاصة وأن من يدخلون التعليم الابتدائي لا يواصلون جميعهم التعلم في المراحل التعليمية التالية لظروف اقتصادية أو اجتماعية أو صحية أو تعليمية .

٥ - إغفال العديد من الأهداف التعليمية والتربوية المرغوب فيها ، مثل تنمية الاتجاهات ونواحي الذوق وأوجه التقدير والقيم والمهارات الحركية والاجتماعية .

وانطلاقاً من ذلك يتضح أنه لا يمكن إحاطة التلميذ بجميع أطراف الثقافة في خلال بضعة سنوات .

والتاريخ كإداة مدرسية لها أهدافها العديدة التي يسعى المنهج إلى بلوغها ، وهو مطالب بأن يقدم إسهاماته في هذا الصدد ، الأمر الذي يجعل وظيفة الكتاب المدرسي ووظيفة وشكل

التدريس الحاليين أمورا لا بد من إعادة النظر فيها كأسلوب
علمي^(١).

وما لا شك فيه أن الكتاب المدرسي هو الركيزة الأساسية التي
يستند إليها تدريس التاريخ ، ذلك أنه يقدم قدرا من المعرفة
يتمشى مع المقرر الدراسي ، وبالرغم من ذلك فإن الكتاب المدرسي
ليس هو المصدر الوحيد الذي ينبغى أن يستقى منه التلاميذ
معلوماتهم التاريخية . فإذا كانت مسئولية المدرسة لا تنحصر في
الناحية العقلية أى في تلقين المعلومات وحشدها وصبها في أذهان
التلاميذ ، أصبح من الواجب الاهتمام والعناية فيها بتكوين عقلية
التلميذ . وتعويده كيف يرى وكيف ينظر ويشاهد وكيف
يبحث ويفكر ، أى تعويده كيف يتعلم^(٢) . فبدلا من أن يحفظ
التلميذ كتابا في التاريخ أو يستمع إلى دروس لا تخرج في النهاية
عن كونها كتابا يسمع ويقرأ ، يمكنه أن يقوم بعمل بحث خاص
في عصر من العصور التي ينبغى معرفتها فذلك أجدى وأنفع
بالنسبة له .

(١) محمد عبد الرحمن برج : . الجديد في موضوع التاريخ . الفكر المعاصر (القاهرة) العدد

٥٤ أغسطس ١٩٦٩) ص : ٧٤

(٢) أحمد حسين اللقاني : . المنهج ومفهوم التربية المسترة . الكتاب السنوى في التربية وعلم

النفس (القاهرة - دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٥) ص : ١٧٧

والخطوات التى يسير فيها أثناء بحثه لها قيمتها فى تكوين عقلية التلميذ ، وهى الوسيلة التى تتيح له أن يتصل بما كتب عن الموضوع وتفتح أمامه آفاقا لدراسة موضوعات هامة تتصل بموضوعه اتصالا وثيقا ، وتهيء له فرصة الرجوع إلى منابع والأصول مما ينطوى على قيمة تربوية لا يمكن إغفالها .^(١)

فالقاعدة التربوية هى أن المنهج بمعناه الشامل هو جوهر العمل التربوى ، ومن ثم فإن المعرفة التى نريد أن يحصلها التلميذ ينبغى أن تحصل عن طريق كل ما يمكن من أسباب التحصيل من المراجع الكبيرة أو الصغيرة ، ومن المراجع القديمة أو الحديثة .^(٢)

والكتاب المدرسى يهدف فى الأصل إلى معاونة التلميذ على ممارسة التفكير فيما وعاه عن معلمه فى أثناء التدريس ، وما يرتبط به من عرض ومناقشة وتحليل وتفسير وتعليل وغير ذلك . ولكن غالبا ما ينتقل الأمر إلى الاعتماد الكلى على النص المطبوع بدلا من الاعتماد على الدرس المسموع والحقيقة المشاهدة والخبرة المكتسبة .^(٣) فيصبح الكتاب المدرسى هو العنصر الوحيد فى

(١) أبو الفتح رضوان : « طبعة الكتاب المدرسى وأهميته فى التربية » المؤتمر الثقافى العربى الخامس (القاهرة - جامعة الدول العربية - الإدارة الثقافية ١٩٦٢) ص : ٨٧ .

(٢) عبد الحميد السيد : « طرق استخدام الكتاب المدرسى » المؤتمر الثقافى العربى الخامس (المرجع السابق) ص : ٢١٢ .

(٣) أبو الفتح رضوان : « وظيفة المواد الاجتماعية فى تربية الجيل » صحيفة التربية (القاهرة - العدد الثالث - أبريل ١٩٥٠ السنة الثانية) ص : ٥٠ .

عملية التثقيف ، وتغدو المعرفة نصوصا جامدة لا روح فيها تتميز بصفة الثبوت المطلق في اللفظ والموضوع . وفي هذا إغفال وتقيد لوظائف عديدة للكتاب المدرسي منها :

١ - أنه يقدم قدرا من المعلومات والحقائق المختارة بعناية وعلى أساس علمي وتنظيمها بطريقة جيدة تساعد المدرس في إعداد الدروس وانتقاء طرق التدريس والوسائل التعليمية والأنشطة وأساليب التقويم المناسبة .

٢ - يقدم الكتاب المدرسي للمدرس والتلاميذ إطارا عاما للمقرر الدراسي كما تصوره واضعو المنهج محققا للأهداف المرغوب فيها ، وبالتالي فإن المدرس في تدريسه يعمل في إطار محدد سلفا مما يسهل عليه أمر تحديد أهداف كل درس أو كل مجموعة من الدروس واختيار القراءات الإضافية المكملّة لمادة الكتاب المدرسي بالنسبة له ولتلاميذه ، والتفكير في أنواع الوسائل التعليمية التي يرى أنها تناسب دروسه وتحديد أكثر المصادر البيئية والأحداث الجارية والقضايا المعاصرة تمثيا مع مادة الكتاب المدرسي .

٣ - يستطيع أن يحدد الوقت المخصص لدراسة كل موضوع في ضوء الأهمية النسبية له .

٤ - يتيح الفرصة للتلاميذ للتدريب على مهارات القراءة ، ذلك أن التدرب عليها لم يعد مسئولية مناهج اللغة العربية ، بل

إن ذلك يعد من صميم مدرسى جميع المواد الدراسية ، كل بقدر ما تتيحه طبيعة مادته والظروف المحيطة بالموقف التعليمي وإمكاناته .

٥ - يعد الكتاب المدرسى الجيد من العوامل الرئيسية التى تجعل التلاميذ أكثر شوقا واستعدادا لتعلم التاريخ ، وعلى النقيض من ذلك فإن الكتاب الردىء غالبا ما يؤدى إلى نفورهم وانصرافهم عن دراسته .

٦ - يقدم الكتاب المدرسى فى المواد الاجتماعية الحقائق من وجهة النظر العربية القومية التى يمكن اعتبارها أساسا لما يكتسبه التلاميذ من معلومات فيما بعد .

٧ - يؤدى الكتاب المدرسى دورا مزدوجا فى العملية التعليمية ، ذلك أن له دورا فى كل من المدرسة والمنزل . فالتلميذ يستخدمه فى المنزل بجانب الملخص السبورى من أجل التلخيص والمراجعة واجراء التمرينات . كما أن المدرس حين يستند فى تدريسه على زيارات أو ندوات أو رحلات تعليمية أو معارض أو غيرها ، فإن الفائدة الحقيقية من كل هذه الأنشطة تكمن فيما يقوم به التلميذ بعد ذلك من تلخيص ومراجعة وتطبيق وإعداد تقارير باستخدام الكتاب المدرسى فى تلك الأعمال المنزلية .^(١)

(١) عبد الحميد السيد : التاريخ فى التعليم الثانوى (مرجع سابق) ص ٢٠٧ .

والتربية الحديثة تعارض استخدام الكتب المدرسية كوسيلة رئيسية في اكتساب المعرفة يمكن أن تؤدي في النهاية إلى اغلاق الذهن وتقليص الذكاء والحد من الشغف الفكري ^(١).

وعلى ذلك فالكتاب المدرسي ينبغي ان يكون موجها للطالب ، حافزا له على الاستزادة من الاطلاع والتعمق وأعمال الفكر ، دافعا له إلى السعى وراء الحقيقة ، موقظا فيه روح البحث والنقد ، وألا يبعده عن الحياة ولا ينفره من مصادر المعرفة الأخرى .

وبذلك يمكن القول أنه لابد من مصاحبة الكتاب المدرسي لمواد تعليمية أخرى ، مثل مواد القراءات الخارجية التي تشترك مع الكتاب المدرسي في التفسير والإيضاح والمراجعة خاصة وأن القائمين على بناء المناهج يحددون الأهداف ويختارون المحتوى من المادة التعليمية في ضوءها ، وعندما تنقضى فترة من الوقت بين بناء المنهج واعداه وتواجده بين أيدي التلاميذ تكون قد طرأت تغيرات وتطورات وبحوث ودراسات جديدة ، الأمر الذي يتطلب مراجعة للأهداف والمحتوى والنشاط والوسائل في ضوء كل مستحدث وجديد ^(٢) فالكتاب المدرسي مهما تبلغ درجة جودته

(١) عزة النص : أسس وضع الكتاب المدرسي في البلاد العربية « المؤتمر الثقافي العربي

الخامس » (مرجع سابق) ص : ١٤٨ .

(٢) عبد الحميد السيد : « مشكلات استخدام الكتاب المدرسي وحدوده » (مرجع سابق) ص :

يحتاج دائما إلى أن يدعم وتستكمل أوجه النقص أو القصور فيه ،
عن طريق القراءة في الصحف والمجلات والنشرات والمراجع
والتراجم والقصص ، إذ أن إستخدام مثل هذه المطبوعات يوضح
الكتاب المدرسى نفسه ويفسره ويحيى مادته ويزيد فهم الطلاب
لها . هذا بالإضافة إلى أهمية هذه القراءات فى توسيع معلومات
الطلاب وتنمية ميولهم وادخال السرور والمتعة إلى نفوسهم
والاستجابة لحاجاتهم المختلفة . فالقراءة تتيح للفرد أفاق المعارف
الإنسانية ، وتضع تحت تصرفه خبرات الجنس البشرى المسطورة
على الورق والمجلة فى بطون الكتب ، كما أن خبرات الفرد
المباشرة مهما اتسعت وتنوعت لا يمكن أن تمتد إلى الماضى بخبراته
وأبعاده المختلفة ولا إلى جميع الأماكن والظواهر والأحداث فى
الحاضر ، وإنما السبيل لذلك هو القراءة التى تنوع خبرات الفرد
وتوسع معارفه بالنسبة للماضى والحاضر والقريب والبعيد على
السواء^(١) .

ولعلنا نلاحظ أن الاهتمام الذى تحظى به المكتبات المدرسية
قصد به مساعدة أولئك المدرسين الذين يحاولون استخدام بعض
القراءات الخارجية التى يمكن أن تزيد من الحصيلة العلمية لهم ،
مما ينعكس بالضرورة على كفاءتهم فى تناول المنهج على المستوى

(١) عبد الحميد السيد : (المرجع السابق) ص : ٢٥٤ .

التنفيذى . كما أن تلك المكتبات قصد منها كذلك أن تكون مصدرا يستقى منه التلميذ المعلومات التى يحتاجها إشباعا لميل لديه أو حلا لمشكلة تعليمية يشعر بها . فالمكتبة المدرسية يجب أن تعمل فى إطار فلسفة للتربية تتحدد لها أهداف تربوية .^(١)

وعلىنا أن نوظن أنفسنا على أن وقت الفراغ سيزداد بصورة يصبح معها عبئا باهظا إذا لم نشغله باهتمامات ثقافية حيوية ، كما أنه قد يودى إلى تزايد فى فرص التلوث الاجتماعى ، فضلا عن أنه يعد ضياعا لطاقات بشرية يمكن توجيهها والافادة منها . ويجب على المدارس أن تعلم تلاميذها كيف يقضون وقت فراغهم وكيف يستثمرونه فى تنمية الذات أكثر من أن تعلمهم كيف يحصلون على عيشهم .^(٢)

فالتثقيف الذائقى لهذا السبب ضرورة حتمية كى غلأ هذا الفراغ ونستغله أفضل استغلال ممكن ، خاصة وأن مشكلاتنا والمشكلات العالمية التى نقوم بدراستها والبحث عن حلول لها ، تكسبنا الشخصية المتطورة ، ولن نستطيع أن نكون كذلك إلا إذا كنا

(١) سعد محمد الهجرى : « دور المدرس فى الخدمة المكتبية » صحيفة التربية (القاهرة - العدد الثانى - يناير ١٩٦٣ السنة ١٥) ص : ٥٠ .

(٢) عزيز حبيب : « دور المكتبة الحضارى » صحيفة التربية (القاهرة - العدد الرابع - مايو ١٩٦٦) ص : ٢٥ .

دائمی الدراسة والقراءة التي تغير من التنظيم المعرفي وتنهيه بصفة دائمة عن طريق الوقوف على المعارف الجديدة .^(١)

ولعلنا نلاحظ أن هناك ترابطا واضحا بين كون الشعب متقدما وكونه قارئاً ، فالشعوب تتعلم ثم تسخر العلم في تحقيق التقدم ، فالقراءة تنمي الفرد ، والفرد ينمي المجتمع ، ولن تكون تنمية بغير القراءة والانفتاح بعقلية ناقدة على كل مستحدث وجديد ، فالحضارة هي خلاصة العلم والتجربة لفكر الانسان في جيل معين ، ومقر هذه الأفكار ومجمعها وموردها هو المكتبة بلا جدال .^(٢)

فالمكتبات ما هي إلا مراكز للقيادات الجديدة التي ستباشر تحقق الاستقرار في ثورتنا القومية ، وعلى المدرس تشجيع تلاميذه على ضرورة الاستفادة من المكتبة واثارة حب الاستطلاع فيهم . وينبغي ألا يقف عند مستوى التشجيع فحسب ، بل لابد من الاهتمام باكساب الميل والاتجاه الإيجابي نحو القراءة المستمرة ، ولا سبيل إلخ شيء من هذا إلا إذا كانت المكتبة محل عناية في المدرسة سواء من حيث مكانها واستعدادها أو من حيث اختيار

(١) أبو الفتوح رضوان : التربية لتحقيق التعاون العالمي - صحيفة التربية (القاهرة العدد الأول - نوفمبر ١٩٥٣ - السنة السادسة) ص : ٦٠

(٢) اسماعيل القباني : تقرير عن التعليم في الكويت (مزارف الكويت - دار الكتاب العربي - مارس ١٩٥٥) ص : ٩٩ .

الكتب التى تقدم للتلاميذ أو من حيث تنظيم العمل بها بحيث يستطيع التلاميذ استخدامها فى أثناء الدروس العادية .^(١)

ولعل ذلك يرجع إلى ظهور مفاهيم جديدة فى ميدان التربية ، مثل التربية المستمرة والتربية لشغل أوقات الفراغ وللشيخوخة ، مما يفرض على أجهزة التربية إعادة النظر فى شكلها ومحتواها وطرقها وأساليبها . فالخدمة المكتبية التى تقدمها المكتبة للمدرسين والتلاميذ فى مختلف المراحل التعليمية ، قوة وأداة تعمل على تشكيل وصياغة عقلية التلميذ وشخصيته وتنميتها وتزوده بالخبرات والمهارات التى تساعد فى البحث وتوسيع أفقه ، وتنمى لديه مجموعة من العادات القرائية الطيبة التى تلازمه طول حياته .^(٢)

من ذلك تبدو أهمية استخدام القراءات الخارجية فى تدريس التاريخ ، ذلك أنها تساعد على : إكساب التلميذ القدرة على الاعتماد على النفس ، والنظرة الناقدة للكلمة المكتوبة والمقرؤة والمسموعة ، فضلا عن القدرة على متابعة الأحداث الخارجية ، ووزن قيم الأمور ، والتمييز بين الغث والthin ، وبين الرأى والحقيقة ، وغير ذلك من المهارات المرغوب فيها .

(١) أحمد عبد الحميد خليفة : « المكتبة المدرسية كما يجب أن تكون » ، أضواء على البحوث التربوية (القاهرة - وزارة التربية والتعليم - الإدارة العامة للبحوث الفنية - يوليو ١٩٦١) ص : ٥٢

(٢) ماريون مونرو : تنمية وعى القراءة فى البيت والمدرسة ترجمة : سامى ناشد (القاهرة - دار المعرفة - ١٩٦١) ص : ٤٢ .

فالقراءة تقوم بتوصيل التلميذ إلى درجة الكفاية العلمية بحيث يستطيع مواصلة تعليمه في مرحلة ما بعد المرحلة الراهنة التي يدرس فيها إذا لم يتيسر له ، لسبب أو لآخر، استكمال التعليم في المراحل التالية . كما أنها تساهم في إعداده للحياة العامة وتمده بالمعلومات الضرورية لحل كثير من المشاكل الشخصية ، وتبنى وجهة نظر خاصة إزاء ما يعرض من مشكلات اجتماعية ، وتحدد ميوله وتزيدها اتساعا وعمقا . وتنمى الشعور بالذات وبذوات الآخرين ، وتدفع عقله إلى حب الاستطلاع والتأمل في التفكير ، وتثير روح النقد للكتب والمجلات والصحف ، وتتيح له الفرصة للتكيف مع الحوادث الجارية والمسائل الاجتماعية وتفهم مشاكل المجتمع والمشاكل العالمية .^(١)

فالكتب والمجلات والوثائق والمستندات الأصلية وجميع المطبوعات الأخرى . تحتوى على قدر كبير من المواد التعليمية في مختلف النواحي الخاصة بالتراث الذهنى للجنس البشرى ، فضلا عن أنها تسجل بين صفحاتها البيانات الحديثة والمعلومات الغزيرة التى يمكن أن ينتفع بها فى حل المشكلات التى تواجه المجتمع دائما حلا ملائما ، وتثير الحاجة إلى سعة الإدراك ، فتزود الطالب

(١) ر . ج . رالف : المكتبة ودورها فى التربية - ترجمة : مصطفى الصاوى الجوى
(القاهرة - مؤسسة المطبوعات الحديثة - ١٩٥٩) ص : ٤٦ .

بيانات مقارنة عن مجتمعات بعيدة من حيث الزمان والمكان :^(١)

والقراءة تنوع خبرات الفرد وتوسع معارفه بالنسبة لما
والقريب والبعيد على حد سواء ، وتمكنه من متابعة الأحداث
والتطورات العلمية والاجتماعية ، وربط المادة الدراسية وإحيائها
بواقع الحياة الاجتماعية عند الطلاب .^(٢)

(١) ادوارد أولسن : المدرسة والمجتمع - تعريب : أحمد زكى محمد (القاهرة : مؤسسة
المطبوعات الحديثة - الجزء الأول - بدون تاريخ) ص : ١٨٩ .
(٢) ألفريد - تيمرود : العالم بين دفتى كتاب - ترجمة : سهير القلاوى (القاهرة النهضة
المصرية - ١٩٥٨) ص : ٢٩٠